

# **العوامل المدركة للسياسة الخارجية الصينية**

سَامُ أَبْو عَبْدِ اللَّهِ

برونة والقدرة على حلها.

المؤليات الدولية: تبدو الصين كثاني أكبر اقتصاد في العالم، كفائد جديد في النظام العالمي أمام مسؤوليات حفظ الأمن والسلم عالميين، وهذا يحتاج إلى دبلوماسية فعالة وتصدّل لهذه المهام.

النموذج العالمي: هنا لا تسعى الصين لتصدير نظمها سياسياً، وإنما تؤمن بحق كل شعب، وبدل يانتاج نظام حكمه نموذجه التنموي، ولكن نجاحها الاقتصادي الباهر يمكن أن يكون نموذجاً للبلدان النامية لدراسته، وتطبيقه.. والقيادة النموذج هو نمط تفكير إستراتيجي صيني يزيد من مصداقية الصين.

العزّة الوطنية: الصين تفتخر به آلاف عام من الحضارة، كذلك بمعجزتها الاقتصادية حالياً، ومن الطبيعي أن تشعر بالامتنان للشعوب والدول الأخرى التي تقدّر إنجازاتها، الأمر الذي يزيد من احترام الدبلوماسية الصينية لدى الآخرين.

لن استعرض هذه العوامل المحركة للسياسة الخارجية الصينية وأمر ضروري من أجل فهم أوسع، وإدراك أكبر لسياسة بلد سديق، وقوة عالمية صاعدة، ومؤثرة يزداد نفوذها، وتتصاعد ثنياتها على الساحة العالمية في عالم متعدد الأقطاب بذات الألامنه تتوضّح أكثر، وهو ما يدفعنا أكثر للبحث في محركاته، عوامل تشكيل سياساته وصناعته.

تركيز على الصين ليس لأنها الاقتصاد الثاني عالمياً، ويصبح أقوى بعد سنوات، ولكن لأننا يمكن أن نستفيد من هذه التجربة رائدة، في كل المجالات، وخاصة مع حدثنا عن التوجه شرقاً هو ما يحتاج إلى المزيد من القراءة والتعمق في تجارب الشرق، بعد أن أسرنا البعض لعقود من الزمن باتجاه الغرب حتى صابنا انقراضاً في فقرات الرقبة من دون أن تلتفت إلى الشرق حيث هناك تجارة غنية، وشعوب حضارية، وقواسم مشتركة عديدة، والدعوة هنا لفتح العقول والأذهان، والمزيد من المعرفة الاطلاع وطرح الأسئلة، ومنها: كيف حقّ الصينيون هذه بعجزة؟ إنها البداية من أجل أن ننجز معجزة سوريا ونموذجها، مشروع رائد للمنطقة، فهل نفعلها؟ هنا يمكن التحدى أماناً، التحدّيات هي التي تصنع الشعوب، والأمم الحرة، والسوريون إنوا وما زالوا من أوائل شعوب العالم في التحدى والانتصار.

وهو ما يقللنا للإجابة عن سؤال مهم، ما هي العوامل المحركة لهذه السياسة الخارجية الجديدة، والأكثر انخراطاً في شؤون منطقتنا والعالم؟

سأحاول أن أقدم أهم هذه العوامل المحركة حسب رأي المحللين والمختصين بالشأن الصيني، وهي:

- التنمية المتكاملة: تقوم تنمية الصين على الإصلاح والافتتاح، فمنذ البداية كانت الصين تجمع الرأسمال والمعرفة، وتقدم المعامل المنتجة، واليد العاملة الرخيصة. أما الآن فإنها تستثمر الرأسمال، وتبني البنية التحتية وفي الوقت نفسه تسعى نحو الموارد الطبيعية لصناعاتها، والأسواق الخارجية لمنتجاتها، كما أنها انتقلت للصناعات الثقيلة بشكل متظور مثل الحديد والصلب، والإسمونت والألمونيوم، والكماءويات، وإذا تمكنت من نقل هذه الصناعات للبلدان الأقل تطوراً فسوف يستفيد الجميع.
- الاقتصاد المحلي: حيث تعمل الصين وفقاً لخطة التطوير الشاملة الثالثة عشرة (٢٠١٦ - ٢٠٢٠) مع هدف واحد يتمثل بمجتمع متظور ومزدهر حتى عام ٢٠٢٠، وهنا فإن التجارة الخارجية مع منتجات ذات قيمة مضافة عالية، زائد الولوج إلى تكنولوجيات أجنبية متقدمة هي أجزاء متكاملة من الخطة، وهو ما يمكن تسهيله من خلال الدبلوماسية الصينية والسمعة الجيدة.
- المصالح الأساسية: وتمثل في: النظام السياسي أي الحزب الحاكم، الاستمرار في التنمية الاقتصادية، السيادة الوطنية ووحدة أراضي الصين، وهذا فإن السياسة الخارجية الصينية مصممة للدفاع عن هذه المصالح الأساسية.
- الأزمات العالمية: مثل عدم الاستقرار السياسي، الصراعات المذهبية والدينية، الإرهاب، الكوارث الطبيعية، الأزمات المالية، الخلافات التجارية.. الخ، وهنا فإن دور الدبلوماسية الصينية هو إيجاد الآليات لإدارة الأزمات وتخفيف تأثيرها وإيجاد الحلول لها.
- الحوادث الدولية: الصين كغيرها من الأمم لديها مصالحها التي يمكن أن تصطدم مع دول أخرى مثل: بحر الصين الجنوبي، الأهم السiberiani، العملات، الميزان التجاري.. الخ، وكل هذه الأحداث أو المشاكل لا بد من التعامل معها، واحتواها، وامتلاك

كان القادة الصينيون يعتبرون بلدיהם نامياً أمامه الكثير من التحديات، ولا يزال مستوى دخل الفرد يحتل المرتبة ٨٠ من بين ٢٠٠ دولة في العالم، كما أن الصين تحتاج إلى المزيد من الوقت لتجاوز التحديات التي تواجهها، ولكن عندما ضربت هذه الأزمة العالمية شعر القادة الصينيون بالقلق نتيجة التباطؤ في الاقتصاد العالمي الأمر الذي سيؤدي إلى خسارة ملايين العمال الصينيين وظائفهم، وسيصبحون في الشارع، ما سيقوض اقتصاد البلاد، وبهذا وبالتالي الاستقرار الاجتماعي، حسب كوهن.

آنذاك أعلن المسؤولون الصينيون أن الصين ليست قادرة على مساعدة العالم، وأن موارد البلاد سوف تخصص لمعالجة المشاكل المحلية، وأكملوا أن الشيء الأفضل الذي يمكن للصين أن تقدمه للعالم هو أن تركز جهودها محلياً، لأن الصين غير المستقرة ليست في مصلحة أحد.

هذا الموقف الصيني لم يستمر سوى عدة أشهر حسب كوهن إذ مع بداية عام ٢٠٠٩ أصبح واضحاً أن علاقات الصين مع العالم قد بدأت تتغير بشكل جذري، وأنه لا عودة للوراء، فقاده الصينيون إلى نتيجة أنه لا يمكن الابتعاد عن الانخراط مع العالم، وليس ممكناً للصين أن تحل مشاكلها المحلية فيعزلة، ومن ثم لا بد من الانخراط مع العالم الآن وفوراً.

يروي كوهن في مقالة المهم أن أحد الوزراء الصينيين أخبره في ذلك الوقت أن كبار المسؤولين في وزارته التي كانت ترتكز في غالبية عملها على القضايا المحلية قد أصبحوا منذ ذلك الوقت يخصصون ثلث دراساتهم للقضايا الدولية، وثلث قراءاتهم للمنشورات العالمية.

أي إن التوجه للانقال في السياسة الخارجية الصينية قد بدأ آنذاك وفي تلك المرحلة لنقل الصين من رد الفعل إلى الفعل، لكن البداية الحقيقة كانت مع شيء جي بيغ الذي أصبح أميناً عاماً للحزب عام ٢٠١٢، ورئيساً للصين عام ٢٠١٣، ومبادرته «الحزام والطريق» التي وصلت إلى ٦٠ دولة في العالم الآن، ومع إنشاء الأئواد المالية، والشراكات الدولية مع روسيا وأوروبا وإفريقيا وأسيا والمشرق العربي.

ولذا كان هذا الانقال كما أشرت يعود لمرحلة الأزمة المالية العالمية، فإن بصمات الصين الآن تكاد تكون واضحة للعيان،

كنت قد تناولت في مقالى الأسبوع الماضي رسائل القوة الصينية التي أراد الرئيس الصيني شي جي بيانه ظهارها للعالم في الرابع من كانون الثاني ٢٠١٨ بمناسبة افتتاح النشاطات التدريبية للجيش الصيني للعام الجديد، وأشارت فيه إلى عدم وجود أي نزعة عدوانية لدى بكين تجاه دول العالم، وحتى تجاه منافسيها، لكن رسائل القوة طلوبية دائمًا في ضوء السياسات الأميركية التوسعية، والعدوانية تجاه المنافسين الجدد لها في العالم، وخاصة الصين وروسيا.

وطبعاً قليل من الكتاب من يتناول الشأن الصيني في صحفتنا، ولا أعرف السبب وراء ذلك، هل هو بعد الصين عنا جغرافياً، أم عدم اختراطها المباشر في قضايا المنطقة كما هي حال روسيا الاتحالية التي بالتأكيد يعود تاريخ علاقاتها بالمنطقة، واهتماماتها بها إلى سنوات بعيدة، وكذلك التأثير، والتأثر بالنسبة لأمنها القومي بقضايا وأحداث المنطقة.

شكلت الحرب على سوريا عاملاً موحداً للبلدين لإعلان أول فيتو مشترك في مجلس الأمن الدولي عام ٢٠١١، وكان هذا الفيتور بمنزلة أول إنذار للولايات المتحدة، والغرب عموماً بأن عصر الأحادية القطبية قد انتهى، وأن مسؤولية الأمن والسلم الدوليين هي مسؤولية مشتركة، ولها انعكاساتها على مصالح الجميع، وأن الوقت لتقفهم و Ashton أن ما تسببت به من خراب في الشرق الأوسط وغيره من المناطق ينعكس على استقرار العالم، ويمس مصالحهم أيضاً.

ويرى بعض الباحثين بالشؤون الصينية أن الصين أصبحت أكثر انخراطاً في القضایا الدولية، وفي شؤون العالم، وبدأت منذ سنوات تصيغ أجندة السياسة العالمية ليس من منطلق رد الفعل على أفكار ومشاريع الآخرين، إنما أصبح لديها مشروعها العالمي الخاص المعروف بمشروع «الحزام والطريق».

يكتب روبرت كوهن في «تشابينا ديلي»، وهو أحد أهم المختصين الأميركيكان بالشأن الصيني بعد وزير الخارجية الأميركي السابقة هنري كيسنجر، أن هناك مجموعة عوامل اجتمعت معاً دفعت الصين للخروج من عزلتها، أو بالأصل للانتقال إلى سياسة خارجية أكثر انخراطاً، وتتناسب مع وزن الصين الاقتصادي، من أهمها الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨، إذ قبل هذا التاريخ

**أوسى لـ«الوطن»: معركة عفرين لن تكون نزهة تركياً ونحن كرد سوريا سنقف جميعنا خلف أهالينا**

والمخاذلات لوحدات الحماية الكردية، وهناك في تكريس يتم خلق «فوبيا» ويضخمون الموضوع حتى يبرر رئيس النظام التركي رجب طيب أردوغان اجتياحاته المقلبة ومشروعه الخطير في سوريا من خلال البوابة الكردية السورية.

ولكن، أعتقد أن واشنطن لن تكسر موازين القوى العسكرية لمصلحة الكرد وفي النهاية سوف تختار مصالح تركيا الحالية والعuelle للمحور الصهيون الأميركي وسوف تتخلّى عن كرد سوريا كما تخلّت عن كرد العراق في كركوك رغم العلاقات القوية بين قيادة إقليم كردستان والأميركيين، ولذلك يجب مقاومة هذه المشاريع من خلال توحيد الصف الكردي السوري والتنسيق الكامل مع القيادة العسكرية في الجيش السوري لتجاوز هذه المرحلة الحساسة وإذا لم تتحذّل هذه القرارات الاستراتيجية ونحتل موقعنا الطبيعي في محور المقاومة فسوف ندفع ثمناً كبيراً على حساب تدمير البنية التحتية في تلك الأنباء.



عضو مجلس الشعب و رئيس المتابعة للكتاب السبع، بن عبد الله أمين (تصنيف طلاق السادس) - أشرف

• وما الدور الروسي المأمول لحلحلة هذه الأزمة؟  
اعتقد أن السياسة الروسية تقوم على حل الأزمة السورية  
بالسياسة، وهي تحاول جنوب تركيا باتجاه موسكو  
والاستفادة من بعض التناقضات التركية الأميركية،  
إضافة إلى استخدام المصالح الاقتصادية في هذا المجال،  
ولكن برأيي الشخصي، فإن الروس سيفشلون في النهاية،  
لأن تركيا لن تخاف خطريتها الأطلسية التي دخلت إليها  
منذ عام ١٩٥٢ وسيقوم أردوغان، الشهير باللعب على  
الحبال، من الاستفادة من هذه التناقضات، وبالتالي فإن  
الأصدقاء الروس ربما سيتحققون بعض الانجازات  
الذكينية مع اتفقة لكنهم لن ينجحوا في مسعاهم.  
أيضاً نحن في سوريا، يجب الازدراهن على الموقف التركي،  
لأنهم كانوا أحد الأسباب الرئيسية للأزمة وهو فتحوا  
حدودهم المشتركة مع سوريا والمتمدة لأكثر من  
٩٠٠ كيلومتر أمام حجاف الإرهابيين والمنظمات القاعدية  
 بشقيها السلفي والإخواني، وهم المسؤولون عن تدمير  
سوريا وعن هذه الحرب الكونية التي تتعرض لها منذ  
سنتين.

• وماذا عن الدور الروسي فيما يتعلق بحل الأزمة  
الحالية في عفرين تحديداً، فهناك حديث عن لقاءات  
عقدت في حميميم بين قيادات كردية مع قيادات سورية  
بحضور وسطاء روس؟  
تمت لقاءات بين قيادات وحدات الحماية الكردية وبين  
قيادات عسكرية سورية وروسية في حميميم وفي غير  
حميميم، وأتفنى أن يكون قد حصل تقدم كبير من حيث  
التنسيق، وأتفنى لا ترقف روسيا ساكنة أمام أي اجتياح  
محتمل لتركيا لمناطق عفرين، ولكن تعلم أن المصالح  
الدولية لها رأي آخر.  
معلوماتي أن هذه اللقاءات لا تزال مستمرة، وإن كنت لا  
أستطيع تأكيدها ١٠٠ بالملنة، وأتفنى أن يفتح عنها موقف  
موحد للوقوف في وجه أي عدوan تركى على السيادة

• هل يمكن أن نشاهد إذاً رفع العلم السوري أو دخول قوات من الجيش العربي السوري إلى منطقة عفرين؟

هذا المشروع كان قائماً منذ أشهر، وتم فعلاً وضع حواجز ومقارز للشرطة العسكرية الروسية بالقرب من عفرين، وسمينا حدثاً عن إمكان تسلیم مدينة عفرين للجيش السوري ورفع العلم السوري عليها، وأتمنى أن يحدث ذلك.

إن ترتكاً إذا ما احتاحت عفرين فإنها ستُخْذَل، القانون

الدولي وسلسوه دوته احلاط ضد دوته ذات سيادة وعصو مؤسس في الأمم المتحدة، ولذلك يجب أن يتصرف القادة الكرد في وحدات الحماية بذكاء وسياسة عالية المستوى باتجاه التنسيق، لأن عفرين في النهاية مدينة سورية وبجزء من سورية ولن تخلص الجيش السوري عن تلك المناطق، وأتمنى أن يحصل هذا الشيء وأن تدخل القوات السورية ومساعدة الحلفاء الروس إلى عفرين ومناطق أخرى لمنع الأتراك وغير الأتراك من اجتياح المنطقة.

جانبلاط شکای

حضر عضو مجلس الشعب ورئيس المبارزة الوطنية  
للكرد السوريين عمر أوسي من جدية المخاطر  
التركية باحتياج مدينة عفرين ومحيطها خلال  
الساعات أو الأيام القليلة المقبلة، موضحاً أن رهان  
حزب الاتحاد الديمقراطي ووحدات الحماية الكردية  
على الأميركيين ليس في محله، ومعبراً أن المكان  
الطبيعي لوحدات الحماية الكردية هو ضمن محور  
المقاومة المستمد من إيران إلى العراق إلى سوريا ولبنان  
وبمساعدة الأشقاء والحلفاء الروس.  
وقال أوسي في لقاء له مع «الوطن»: إن تركيا تهدف  
إلى السيطرة على القوس المتند من جرابلس إلى  
عفرين شمال حلب وصولاً إلى إدلب، في المرحلة الأولى  
ومن ثم التوجه إلى منبج ومنها إلى القامشلي للقضاء  
على الكانتونات الكردية الثلاثة، ولتصرُّف هذه  
الاختراقات في المؤتمرات السياسية القادمة، مؤكداً  
أن واشنطن التي لا ت تريد أن تتسحب من سوريا وفي  
طار سياستها لزعز الفوضى الخلافة ت يريد أن تورط  
تركيا والإكراد في هذه الحرب.  
وتحدث أوسي عن لقاءات تمت وماراثونات متواصلة  
بين قيادات وحدات الحماية الكردية وبين قيادات  
 العسكرية السورية وروسية في حميميم وفي غير حميميم  
متمنيناً أن تتفق روسيا ساكتة أمام أي اجتياح  
محتمل لتركيا، وأن ينتفع عن هذه اللقاءات موقف  
موحد للوقوف في وجه أي عدوان تركي على السيادة  
السورية، متمنيناً التوصل إلى اتفاق يفضي إلى رفع  
العلم السوري ودخول قوات من الجيش السوري إلى  
مدينة عفرين.  
وفيما يلي النص الكامل للقاء:

وفق كل المؤشرات والتوقعات سار مشهد الشمال السوري صوب التسخين، وبطبيعة الحال فإن تقدم الجيش السوري نحو إدلب وإنجاز تحرير مطار أبو الظهور، وما سيعنيه لاحقاً من بدء حقبة القضاء على جبهة النصرة، ما كان له أن يمر أميركياً ولا تركياً دون إخراج المزيد من المخططات البديلة والكافحة بتفجير المشهد والتقاهمات الدقيقة التي كانت حاصلة في أعقاب أستانة.

تركيا التي تقصد إعلامها الترويج لنظرية الصفقات على مبدأ أبو الظهور مقابل عفرين، بدت وفي أكثر من مفصل غير معنية باتفاقاتها مع شركائهما من الصامدين في أستانة، وهي إذ لم تستطع عبر أدواتها وقف زحف الجيش السوري صوب إدلب، حاولت عثناً اللعب في خطوط روسيا الحمراء، وإرسال «الدرونات» نحو حميميم، في محاولة بائسة لحرف مسار المعارك، ليشكل الرد الروسي والتحذير من اللعب في المحرمات، صفعه سريعة لأنقرة دفعتها للتراجع وطلب التفاهم من جديد.

بالمقابل كانت أميركا تستدعي أدواتها القديمة من قادة فصائل ميليشيا «الجيش الحر» وغيرهم للجتماع في واشنطن، وإذا لم يعرف إلا القليل مما جرى هناك، إلا أن ما تسرب كان يوحى بأن أميركا التي لا تكف عن التآمر، مقبلة على إعلان مخطط جديد يسمح لها ببقاء موظف قدم لها بالمنطقة، ليجيب الإعلان عن تشكيل قوة أمنية على الحدود، قوامها ٣٠ ألف عنصر بقيادة «قدس» الجواب المباشر على التساؤلات التي كانت

نطّر. إعلان واشنطن قوبيل سريعاً بعاصفة تنديد سوري روسي إيراني، وتحذيرات، تركت الأبواب مفتوحة لكل الخيارات، بما فيها الخيار العسكري، لمنع وقف تنفيذ ما يجري التحضير له أميركياً، إلا أن الصراخ الأعلى خرج عن أنقرة حليفة واشنطن، التي هددت بالويل والثبور وعظيم الحروب، وأعلنت عفرين عنواناً للمواجهة المقبلة، ولاجتياح مزعوم رداً على ما يرتب له. لكن أصبع الجندي التركي التي كانت تنتظر على الزناد بفارغ الصبر الأمر العسكري للانطلاق، بحسب ما عبر رئيس نظامه رجب طيب أردوغان، يبدو أنها ستنتظر طويلاً، وموجات العویل والصراخ لم تعد قادرة على إخفاء حجم المأزق التركي الحاصل، وعفرين التي يقدم لها أردوغان على أنها ستكون لقمة سائحة في فم جيشه، صارت القلعة العصبية عليه، وتحولت المدينة عقدة

سباب ونورن إيفيمي يصعب على آخرها. السيناريوهات التركية المطروحة، تبدو حتى اللحظة بأنها تسير صوب اجتياح عفرين منها كفت الأثمان، للخروج من المأزق المترتبة لسياسة أردوغان، إلا أن السيناريوهات المقابلة توحى بأن الثمن التركي سيكون باهظاً، وتجربة «عين دقنة» في الريف الحلبي، لازالت ماثلة في الذاكرة التركية القصيرة، بينما التسريبات الإعلامية عن تزويد مقاتلي المدينة بأنظمة دفاع جوي أميركية محمولة على الكتف لم تأت عن عبث، رغم إعلان واشنطن بأنها غير معنية بما سيجري في عفرين.

التهديد التركي يبدو أنه محكوم أيضاً بعدم الاقتراب من مصالح موسكو، التي مازالت تلتزم الصمت تجاه العويل الأردوغاني، وهي لا تبدو اليوم بوارد إعطاء ضوء أخضر داعم لأي عمل عسكري تركي وشيك، ولا يجب علينا أن ننسى انتشار القوات الروسية في مطار منع العسكري وكفرجنة وغيرهما من المناطق الحاذنة لعفرين نفسها، وهو أمر لا بد أن يدخل في الحسابات

إذا الخيارات التركية تبدو ضيقة ومدعومة، والرهان على أميركا يتلاشى، بينما ينتظر اللاعبيون الإقلبيون الأبرز إيران وروسيا، قراراً تركياً بالتعقل والانزياح صوب خيار التفاهمات التي يقودها البلدان، وما سيعنيه ذلك من تخلي أردوغان عن أحلامه السلطانية الضائعة، والرجوع صوب المربع الأول، الأمر الذي لا يبدو حتى اللحظة على استعداد لتنفيذها، لتتقى خيارات الصراع مفتوحة في الشمال، ومحكومة بمزيد من تصعيد ألفته المنطقة طوال السنوات الماضية.